الحب الايجابى للأولياء

هو أن نقتدى بهم خلقاً وعملا

لسماحة السيد محمد محمود علوان

نص الكلمة التى ألقاها سماحته فى الاحتفال الرسمى
بالليلة الختامية لمولد العارف بالله القطب السيد أحمد البدوى

أيها السادة : السلام عليكم ورحمة الله .

من أخلد الكلمات التى ترسم أفقا ، وتحدد هدفا ، وتصنع مبدأ كلمة الصادق الامين صلوات الله وسلامه عليه ، « ما تحابا اثنان فى الله إلا كان أحبهما لصاحبه أحبهما إلى الله » .

ثم يقدم لنا الرسول العظيم ، صورة حية مشرقة خالدة للمتحابين فى الله : إنهم ليحشرون يوم القيامة على منابر من نور وإن مكانتهم لتسمو عند ربهم ، حتى ليغبطهم الأنبياء والصديقون والشهداء .

ولقد اجتمعنا هنا اليوم ، فى هذه الساحة المباركة ، نحتفل بذكرى رجل من رجال الله ، أحببناه فى الله ، فأصبح هذا الحب عبادة لله ، وسبيلا إلى رضاه .

ولكن هذا الحب أيها السادة . . . يجب أن نخرج به من سلبيته العاطفية ، إلى واقع الحياة العملية ، يجب أن نتجه بهذا الحب اتجاها إيجابيا ، تتفعل به الأحداث ، وتتلون به الأعمال ، وتنطبع به الأخلاق ، ويتجلى مبينا حيا متلألأ فى حركاتنا واتجاهاتنا ومعاملاتنا .

فالحب الصوفى فى الله ، كل شىء فى التصوف ، ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة لغاية أكبر ، وهدف أسمى .

لقد أحببنا أولياء الله لأنهم كانوا النماذج العليا للمؤمنين العابدين العاملين لإعلاء كلمات الله ، المجاهدين فى كل ميدان من ميادين الإصلاح . وفى كل قطاع من قطاعات المجتمع ، وفى كل أفق من آفاق الإنسانية .

ولكى يكون حبنا لهم إيجابيا عمليا يرضى عنه الله ويتقبله ويباركه ، ويجعله نوراً فى الدنيا ، ورضوانا فى الآخرة : يجب أن نتخلق بأخلاقهم ، ونستمسك بمبادئهم ، ونهتدى بهديهم . فنجاهد كما جاهدوا ، ونقدم الخير للناس كما قدموا .

هذا هو الحب الإيجابى ، الذى يحبه الله ويباركه ويثيب عليه .

وعلى هذا الضوء نفهم التصوف ، ومبادىء التصوف ، وعلى هذا الضوء ، نبين اليوم للناس رسالة التصوف .

تلك الرسالة الإيجابية العملية ، التى تقدم منهجا للحياة كافة هو أعلى وأسمى منهج عرفه الوجود ، لأنه الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية ، بكل ما تشتمل عليه من عزمات صاعدة ، وقوى بانية ، وعبادات عالية ، ومثل هادفة .

فليس التصوف ، هو هذه الصور الهزيلة المهزوزة ، التى نراها هنا وهناك من الأدعياء الذين خالوه أثوابا مزركشة ، وتمائم ملونة ، ودمدمات مبهجة .

وليس التصوف ، هو هذه السلبية الانعزالية الزاهدة القانعة ، التى لصقت بالأرض ، وسبحت مع الأحلام الغامضة وتركت عجلة الوجود تدور دون أن يحس بها أو ينفعل بحركاتها وأعمالها .

وليس التصوف ، هو هذه الفلسفة الكلامية التى تدور حول قضايا لا جدوى منها ، ولا غاية لها .

إن التصوف الذى ندعو إليه ، هو تصوف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، والذى قام الليل لربه حتى تفطرت قدماه ، وفى الوقت نفسه كان الإمام الأكبر للمجاهدين فى كل ميدان من ميادين الحياة .

تصوف الصدر الأول من الأئمة الهداة الذين أحالوا الوجود إلى محاريب للعبادة ، ومنارات للهدى ، ثم امتطوا أعنة الخيل ، فكانوا أكبر القوى الحربية فى الوجود ، وعكفوا على معاهد العلم الإيمانى الربانى كما كانوا سادة العلم التجريبى العملى ، فابتكروا وجددوا ، وصنعوا بأيديهم وبعقولهم ، مقومات الحضارة ، ومسببات القوة .

كان ذكر الله لديهم ، عبادة خالصة لله ، ومعراجاً إلى حبه ورضاه ، وفى الوقت نفسه كان قوة نفسية إيجابية بانية . . . كان طاقة من النور والعزيمة الأبية الهادفة يستمد منها الجندى التضحية والفداء . ويستمد منها الزارع العزم والمضاء ، والتاجر الصدق والأمانة ، والصانع التفوق والإتقان .

وهكذا قام المنهج الصوفى ، ليصنع الإنسان المثالى ، الإنسان القوى ، القوى بخلقه وبإيمانه وبجهاده ، وبإيجابيته الهادفة ، الإنسان الذى يتسامى بغرائزه ويصعد بفطرته ، إلى الأفق الأعلى .

الإنسان الذى استقام على الصراط المستقيم ، والطريق المضيء ، واتجه إلى الله ، ولم يغفل لحظة عن واجبات الحياة ، التى أعطاه الله إياها ، ليكون فيها سيداً وإماما .

فليس التصوف أيها السادة ، زهداً ولا توا كلا ، ولا سلبية ، ولا أزياء غريبة ، ولا فلسفات جامحة ، ولا تقاليد جامدة . . . إنه عبادة خالصة لله ، وعزيمة لا تضعف ولا تذل فى الحياة . . . إنه قوة نضال ، ضد الشر والانحلال والانحراف ، قوة تعاون ومحبة وسلام وإخاء .

قوة بناءة للشعوب ، تمدها بإشراقة الروح ، وسمو الخلق وفورة البأس ، وعزيمة النضال ، ومادة الحياة .

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا اهتزاز ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الشرع والقرآن والدينا

أيها الســـادة :

تلك هى خواطر المولد الأحمدى الزكى على صاحبه السيد العارف بالله أحمد البدوى رضوان الله وبركاته .

ولقد كان أضاء الله ضريحه ، وخلد ذكره ، داعية من أصدق الدعاة إلى الله ، ومربياً من أكبر المربين العالميين ، وصوفياً مثالياً من المجاهدين العاملين .

ونظرة إلى تلك الساحة العامرة ، إلى هذه الألوف المؤلفة التى احتشدت فى كل مكان ، ترشدنا إلى مكانة السيد أحمد وأثره وما وضع الله له من حب وقبول فى قلوب المؤمنين .

أيها الســـادة :

فى هذه الليلة المباركة ، الليلة الختامية للمولد الأحمدى . الليلة العامرة بأنفاس العابدين والصالحين ، تتفتح أبواب السماء . ويستجاب الدعاء . . . فلنتجه جميعاً إلى الله سبحانه أن يتولى بتوفيقه وتأييده رجل السلام العالمى ، ورجل الإسلام القوى ، وزعيم العروبة الأبى قائدنا العظيم الرئيس جمال عبد الناصر .

ورضوان الله على صاحب الذكرى . . والسلام عليكم ورحمة الله .